خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٥ من شوال ١٤٣٦ هـ / ٣١ من تموز ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ [آل عمران: ٧٨].

معاشر السادة: نقل الإمام مسلم في صحيحه، عن مُحَمَّد بن سيرين أنه قال: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم).

بعض الأطعمة يُورث مَن يتناوله صُداعاً في الرأس واسترخاء في الأعضاء وانقباضاً عن الأعمال، وبعض ألوان المعرفة يَترك في النفوس من التشاؤم والخمول مثلما تتركه هذه الأغذية الرديئة في الأجسام، وحَقيق بنا أن نبحث عن مصادر المعرفة التي توجهنا، وأن نَتدبر فعلها في مشاعرنا وأفكارنا، لا، بَل نستيقن أولاً مبلغ ما فيها من حق، فمن يدري، ربما كانت وهماً لا سناد له، وما أكثر الأوهام التي تُسير الناس وتجعلهم يَنشطون إلى سراب خادع، أو يُرعبون مِن خيال مختلق.

إن للتدين المنحرف أسباباً نَفسية وأخرى علمية، تَظهر في أقوال المرء وأعماله، وتُلحظ فيما يُصدره من أحكام على الأشخاص والأشياء، وتتفاوت هذه الأسباب قوة وضعفاً وقلة وكثرة، ولكنها على أية حال ذَات أثر عميق في تحديد المواقف والاتجاهات، والمفروض في العبادات التي شرعها الله للناس أن تُزَكي السرائر وتقيها العلل الباطنة والظاهرة، وتَعصم السلوك الإنساني عن العوج والإسفاف والجور والاعتساف، وكان هذا يتم حتماً لو أن العابدين تجاوزوا صور الطاعات إلى حقائقها، وسجدت بصائرهم وضمائرهم لله عندما تسجد جوارحهم، وتحرك أنفس ما في كيانهم وهو القلب واللب عندما تتحرك ألسنتهم، أما إذا وقفت العبادات عند القشور الظاهرة والسطوح المزورة فإنها لا تَرفع خسيسة ولا تَشفي سقاماً.

ماذا تنتظر من رجل طبيعته شرسة إلا الوعظ بقوارض الكلم وسيء العبارات؟.

إن طبائع بعض الناس تحول الدين عن وجهته إلى وجهتها هي، فبدل أن تهدي تصد، وبدل أن تُسدي تسلب.

قديماً وحديثاً وُجد أولئك المنحرفون مِن حَملة الأسماء الطنانة، فَكانوا بلاءً على الدين وعلى أممهم، وعندما نَبحث عن جراثيم الانحراف بَين المتدينين نَجد هذا اللون مِن الفرعنة وراء جملة من المسالك التي نَشجبها ونَضيق بأهلها، فبعض الجماعات نَبتت أفكارها في السُّجون، ونمت أشواكها وراء القضبان، مما أدى إلى عِوج فكري وانحراف نفسي.

إن المتطرف مختل المزاج، فصاحب الرسالة مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ مَا خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وهؤلاء المتطرفون ما خُيِّروا بين أمرين إلا اختاروا أصعبهما، وتجد بين المتدينين قوم أصحاب فقر مُدقع في ثقافتهم الإسلامية، وإذا كان لهم زاد علمي فمن أوراق شاحبةٍ بعيد عن الفكر الإسلامي الصحيح، والأقوال الراجحة لفقهائه، وهم يؤثرون الحديث الضعيف على الصحيح، أو يَفهمون الخبر الصحيح على غير وجهه، وإذا كانت المدارس الفكرية في تراثنا كثيرة، فهم مع ظاهر النص ضد مدرسة الرأي، وهم مع الشواذ ضد الأئمة الفقهاء، وهم مع الجمود ضد التطور، فهل بَين أولئك القوم وبين الخوارج القدامى قَرابة روحية وفكرية؟ ربما.

إن المتطرفين يسترون بركعات ينقرونها فتوقاً هائلة في بنائهم الخلقي، وصلاحيتهم النفسية، وهم لا يظنون بالناس إلا الشر، ويَتربصون بهم العقاب لا المثاب، وهم يَسمعون أن شعب الإيمان سبعون شعبة، بيد أنهم لا يَعرفون فيها رأساً مِن ذنب ولا فَريضة مِن نافلة، والتطبيق الذي يعرفونه هو وحده الذي قرون.

وفي تاريخنا القريب والبعيد تجد من هؤلاء مَن يطعن الأئمة ويناوش القمم، فقد روى ابن مردويه أن رجلاً مِن الخوارج نَظر إلى سعد بن أبي وقاص وقال: هذا مِن أئمة الكفر، فقال له سعد: كذبت، أنا قاتلت أئمة الكفر، فإذا وفد آخر يُظاهر زميله يقول عن سعد: هذا من الأخسرين أعمالاً، فقال سعد: كَذبت أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه.

وهنا سؤال يطرح نفسه: ما هو الشيء الذي أعان هؤلاء على نشر فكرهم الظلامي ودمار الأمم والشعوب؟

إنه الإعلام المعادي للإسلام والعروبة، لقد نجح هذا الإعلام في بُلوغ أهدافه، واستطاع بالثقافة المسمومة والخبر الكاذب أن يفسد العقول ويهيج النفوس ويوجه الأفكار ويعلق النفوس بالدنايا، ونجاح الإعلام في إنشاء هذه البلبلة لا يعود إلى مهارتها وحدها، فمن ورائه إرهاب أجنبي شديد الخفاء، يُطارد كل عالم يمكن أن يقدم خيراً للعروبة والإسلام، وهذا الإرهاب قد يرى التصفية جسدية لا بد منها، بيد أن أصحاب المبادئ لم يتراجعوا أمام الشدائد، وما دام الأعداء مُصرين على قتل العروبة وتشويه الإسلام، فيستحيل أن تجف الأرض من دماء المدافعين، حتى يَستنقذوا عقائدهم وشرائعهم وتراثهم كله، والتفاوت بين الجهاد في عصرنا هذا والجهاد القديم؛ أن أعداء العروبة والإسلام اصطنعوا لهم أناساً منا ومن جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، أوعزوا إليهم أن ينهبوا رسالة مُحَمَّد ويبددوها في كل فج، ووقفوا هم يَرقبون المعركة عن كثب، ويمدون عملاءهم بما يحتاجون إليه بين الحين والحين، فما كسبته السياسة الغربية والصهيونية العالمية من بعض العرب والمسلمين شَيء مُثير جداً، والأمر يتطلب من المدافعين مَزيداً من الدراسة واليقظة، وتَقليب النظر في حُصص المقاومة الواجبة أمام كنف العداء وكثرة المنافقين العملاء.

ولما كانت هناك قوى تُعارض فكرنا وتكره نهجنا، وتثير الشبه ضد قضايانا، وتحاول بكل طريقة النيل منا؛ فنحن مُضطرون أن نلحظ ذلك فيما نقول ونفعل، لا نَرد رداً مباشراً، بل نَبني عرضنا على نحو يَكشِف بهدوء ما قد يُثار ضدنا، ويَشرح بلطف تهافته وضعفه، وإذا احتاج الأمر إلى مقارعة إعلام آخر يَتهجم علينا التزمنا فضائل الإسلام في الرَّد والتمحيص، فذاك أليق وأجدى، حيث أرشدنا القرآن إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] وكذلك يَجب أن نعرف ما عند غيرنا بدقة وإنصاف، ثم نترك للعقل الإنساني العادي أن يُقارن ويحكم، والإعلام النَّزيه المجرد هو الذي يَحرص على بث الحق وإيثار السلام، ورفض الشحناء والتجريح بالشرفاء، والإعلام الحق هو الذي يَدور محوره على الصدق ونشدان الحق وحب الخير للناس أجمعين، وأجهزة الإعلام عِندما تُؤدي دورها والحالة هذه هي ميادين الجهاد، وأماكن عبادة، ومدارج تقوى ورضوان.

لا بد مِن إعداد برامج طويلة، ومِن تَقليب النفس الإنسانية بين ألوانٍ مِن الفكر والعاطفة، ومن تجربة مفاتيح كثيرة لنصل إلى دورها، فإن تحويل الناس عن مواريثهم الروحية والاجتماعية جُهد بعيد المدى، ما يَنجح فيه إلا المخلصون الأذكياء.

يا سادة: إن أُمتنا غنية بأولي الألباب –يا ليت العرب، ويا ليت المسلمين، ويا ليت كل غيور على مصلحة وطنه وعلى مصلحة أمته أن يدرك هذا الكلام– إن أمتنا غنية بأولي الألباب، ولكننا لا نعرف أمة تَضع السدود والعقبات أمام عقلائها ومفكريها كالأمة الإسلامية، الرأي فيها لمن يملك الكلام لا لمن يُبصر الحق، والغلبة لمن يملك العصا لا لمن يَسوق الدليل، والسفهاء يُطاردون العباقرة حتى يَخلو منهم الطريق.

معاشر السادة: لقد أدرك العالم أجمع أن كثيراً مِن القنوات المغرضة عَمِلت مع أعداء العروبة والإسلام على قتل الأمة مِن النَّاحية الروحية والتاريخية والعسكرية، وغَايتها أن تَتلاقى على أنقاضنا، واستيقن الكثير مِن العرب والمسلمين أن هذه القنوات –كالجزيرة والعربية وأورينت والوصال وغيرهم– تَهدف إلى استئصال الأمة، واجتثاث عَقيدتها وشريعتها، وتمزيق روابطها، وتحويلها إلى ساحة فتن وخصام.

وحرصاً على سلامة البشرية جمعاء، وصِيانةً لها من مفاسد الإرهاب التكفيري؛ وجه القائد المؤمن بشار الأسد حفظه الله ورعاه إلى إقامة مُؤتمر إعلامي دولي لمواجهة الإرهاب التكفيري، الذي بات يُهدد أمن واستقرار الأسرة الدولية، وستَبقى دمشق –نعم ستبقى دمشق– على مر العصور والأزمان مَنبع حب وخير وسلام، وسيَبقى إعلامها رائداً في النزاهة وتحري الحقائق، وداعياً إلى جمع الصف وتوحيد الشمل.

أما دماء الإعلاميين الحربيين ستبقى عنواناً للكرامة ومناراً للهداية ورمزاً للصمود والدفاع، حيث قدم هؤلاء الإعلاميون الحربيون أرواحهم الطاهرة من أجل إظهار الحق والحقيقة، وامتثلوا قول النبي ﷺ عندما قال في الحديث الصحيح: ((عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)).

معاشر السادة: إن الوفود الأكارم الذين شاركوا في المؤتمر الإعلامي لمواجهة الإرهاب التكفيري جاؤونا مِن أنحاء البلدان العربية وغيرها، أقروا تماماً أن ما جرى ويَجري في سورية وفي غيرها من البلدان العربية إنما فعله أولئك المغرضون خدام بني صهيون، باسم الحريات والتغيير والديمقراطيات وغيرها من الدعاوى الكاذبة، هي التي عملت على دمار الشعب السوري وعلى محاربته في لقمة عيشه، وهي التي عملت على دمار الشعب الليبي الحبيب، والشعب اليمني الحبيب، والشعب العراقي الحبيب، والشعب الفلسطيني الحبيب، وكل الشعوب التي تعاني من هذا الفكر الظلامي التكفيري، فأدرك العالم اليوم بعد تأخر كبير، منذ البداية، كان صوت دمشق يَصيح قائلاً للعالم: احذروا هذا الفكر الإرهابي الخطير، فإنه لن يجتاحنا

فحسب، إنما سيجتاح بلادكم وسيجتاح الذي يدعمه، لكن الآذان كانت صماء، لماذا؟ لأنهم كانوا يَتوقعون أن سورية ستسقط في غضون أيام أو شهور قليلة، لكن هؤلاء الجهلاء –لا نقول أكثر من ذلك احتراماً لهذا المنبر– لكن هؤلاء الجهلاء لم يُدركوا أن الله ﷻ يَنصر الحق وأهله ولو بعد حين، أن الله لا يقف مع الباطل وأهله مهما علوا في الأرض، ومَهما روجوا من دعايات وأكاذيب، أين الذين دمروا سورية؟ أين أصواتهم؟ أين مكرهم؟ أين خبثهم؟ أين أسماؤهم؟ أصبحوا في مزبلة التاريخ، لقد أكل عليها الدهر وشرب، وها هي الأجيال اليوم تَلعنهم لما فَعلوه في بلدانهم، لما قدموه لهم من شقاء وتعاسة.

وخطاب السيد الرئيس بشار الأسد حفظه الله ورعاه، هذا الخطاب هو خطاب المنتصر، هو خطاب المؤمن بالله، هو خطاب المؤمن بأرضه وشعبه ووطنه، هو خطاب الذي يعلم أنه على حق مهما حاربه المتكالبون، ومهما هاجمه المتآمرون، فهو يقف بصمود وشماخ كالجبال الراسية، يقول لهم: لا أنا هنا أسد أصون أهلي وأصون عرضي وأصون شعبي، فهذا الخطاب وضع النقاط على الحروف كما يُقال، وتوج الخطاب بعفو كريم لكل فار من خدمة العلم، من خدمة وطنه، من هذا الشرف الكبير وهذه المكرمة العظيمة، حيث قال لهم: عودوا، أنتم سوريون، أنتم أهلنا، أنتم أبناؤنا، أنتم إخوتنا، عودوا إلى حضن الوطن، تعالوا لنحمل البندقية في وجه بني صهيون، لا لنحمل البندقية في وجه بعضنا البعض، إنها الحكمة، إنها السيادة، إنه العفو عند المقدرة.

يا سوريون، إن الأمور الدولية قد انحسمت، ومن يتابع الأخبار يعرف ويدرك ذلك تماماً، أما الأوضاع الداخلية فإن الجيش العربي السوري قرر منذ البداية أنه لن يضع البندقية ولن يستكين ولن ينهار أبداً حتى يطهر أرضه من آخر إرهابي مرتزق دنس أرضنا وعرضنا وكرامتنا.

فنحن اليوم أمام مفترق كبير، لكنه فيه خير إن شاء الله للأمة العربية والإسلامية جمعاء لا للسوريين فقط، وواجبنا في هذه الظروف المفصلية التي نمر بها أن نكون واعين، وأن ندرك تماماً أنه لا شيء أغلى من الوطن، ولا شيء أغلى من الكرامة، ولا شيء أغلى من الدفاع عن الوطن، ها نحن ذا على أبواب الاحتفاء بتأسيس الجيش العربي السوري، هذا الجيش الذي مر سبعون عاماً على تأسيسه، حيث أثبت عن معاركه الطويلة في تشرين وفي غيرها أنه جيش عقائدي معطاء، هو ولد في الحرب، ويموت في الحرب، ونشأ في الحرب، فهو لا يعرف الذل والخنوع أبداً.

أما أنت أيها السوري، فالحق بركب الجيش العربي السوري، لا تضيع هذا الشرف، لا تضيع هذه المكرمة، لا تكن من المتوارين عن الأنظار، كيف يطيب لك أن تتوارى عن الأنظار وأنت ترى الشيشاني والسعودي المرتزق والليبي المعتوه والأردني المجنون والفلسطيني، وغيرهم ممن تورطوا، كيف تراهم يدنسون عرضك، ويجوعون أهلك، ويدمرون بلدك، ولا تستثيرك هذه المواقف أن تكون أسداً يحمل البندقية ليشرعها علناً، وليقول للعالم بأسره: أنا لا أهاب إجرامكم، أنا لا أهاب مكركم، أنا لا أهاب طغيانكم، فإن حبي لوطني هو الذي يدفعني دائماً لأكون مسالماً في الحرب ومسألماً في السلم، مدافعاً عن بلدي وعرضي، وهذا ما يأمرني به ديني وما دعتني إليه شريعتي.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر المقاومة اللبنانية، اللهم إنا نسألك أن توفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وأن تأخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، وأن تجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق